متفرقات اجتماعية

قيمة التليفون :

لا يجد التليفون الانتشار الذى يستحق فى بلادنا. ولعل لارتفاع القيمة فى الاشتراك سببا لهذا. ولكن حتى مع القيمة العالية الحاضرة للاشتراك لا يزال التليفون من الأدوات المنزلية التى يحتاج اليها كثير من المنازل . فان ربة البيت التى اعتادت استعمالها التليفون تشعر أنها لا تستطيع الاستغناء عنه لوفرة ما يؤديه لها من خدمات . بل هو يغنى عن استخدام الخادم فى كثير من الشؤون . وفى الولايات المتحدة الأمريكية حيث لا يكاد يخلو منزل من التليفون تستخدم ربة البيت هذا الجهاز فى شراء حاجاتها من الطعام كل يوم بمخاطبة البقال والجزار والخباز وهى قاعدة رادعة فتأتى اليها كل هذه الأشياء . بل هى تخاطب به الحوذى لكى ينتظرها على باب منزلها فى وقت معين . وهى تشترى به التذكرة للمسرح أو الدار السينمائية أو تستدعى النجار لبعض الترميمات أو غير ذلك مما يحتاج عندنا الى استخدام خادم بل خدم .

ونحن فى مصر نستسهل استخدام الخدم لأننا فى أغلب الأحيان نستقدمهم من الريف بأجور منخفضة . ولكن كثيرا من هؤلاء الخدم يحملون فى أجسامهم أمراضا مختلفة تنتقل الى أعضاء البيت وخاصة صغارهم . وتعليم الخادم الريفى شاق يحتاج الى السنوات لأننا نضطر الى أن نغرس فيه اذواقا جديدة. ولو كان مثل هؤلاء الخدم يستقرون فى المنازل لكان لهذا المجهود فى تعليمهم ثمرة ولكن المألوف أنهم يعودون الى الريف عندما يبلغون سن الشباب فان الخادم يخضع لنداء الحقل والخادمة تطمح الى الزواج فى قريتها .

وإزاء هذه الحال نظن ان ربة البيت تحسن إذا هى اشتركت فى التليفون واستغنت به عن بعض الخدم .

البائع الجوال :

تزدحم القاهرة وسائر المدن الكبرى فى بلادنا بالباعة الجوالين الذين يتسلقون على الترام ويتخللون الكراسى فى القهوات ويصدمون السابلة فى الطريق ويعرضون بضائعهم فى الحاح وخ لا يصدهم الرفض ولا يأبهون بالتعنيف. وهم فى بيعهم يساومون ويتغفلون المشترى إلى أقصى حد ممكن .

والبائع الجائل هو فى معظم الأحيان متعطل لا يحسن عملا . وهو أيضا فار من الريف لايكاد يبلغ المدينة حتى يتعرف الى تجار الجملة فيشترى منهم بالنقد أو بالنسيئة قليلا من البضائع التى يجعلها ذريعة لكى يتفشى بها فى شوارع المدينة. وهو عندما يجد أن حرفته هذه لاتكفى معاشه لا يستنكف من السرقة . بل أن البيع فى الشوارع هو فى أحيان كثيرة ذريعة الى السرقة . فأن باعة الفواكه والخضراوات الذين يبيعون أشياءهم على أبواب المنازل يدرسون أحوال هذه المنازل وما فيها من وسائل الوقاية والحماية وما تحمل ربة البيت من مصوغات فيكون لديهم من كل ذلك طريق الى الجريمة سواء بأنفسهم أو بمن يرشدون من المجرمين .

زد على هذا أن البائع الجائل يفسد على التاجر الصغير الذى يستقر فى دكانه صناعته اذ هو يبيع بعض البضائع بأثمان منخفضة . وقد نظن أن هـذا الانخفاض من مصلحة الجمهور ولكن الحقيقة أن هـذه المصلحة إما وقتية و إما غير حقيقية . لأن هذا البائع إنما يشترى النفاية والنقاضة . والتاجر المستقر يحتاج الى الحماية كما أن شوارعنا و بيوتنا يجب أن تكون فى مأمن من البائع الجوال . والتجارة لاتتأصل وتتأثل بالتاجر الجوال لأن مكانها هو الدكان الصغير والمتجر الكبير .

العلم خير أم شر :

المتأمل للحرب القائمة لايسعه الا الشعور بأن العلم هو السبب لهـذه الكوارث العاجلة الفاجعة التى نراها فى الانتصار العاجل لأحد الجيوش على جيش آخر . ففى هذه الحرب نرى أن الرقى الذى أصابته صناعات المعادن والطيران والغازات قد استخدم للقتال بدلا من أن يستخدم فى فنون الحضارة .

والعلماء يدفعون هذه التهمة بأن العلم محايد لاشأن له بالاخلاق وهو يخدم الخير والشر معا . فيجب على الذين يستخدمونه ألا يكونوا أشرارا حتى يجدوا منه الخير فقط .

وهذا صحيح لأن العلم لاشأن له بالأخلاق . فأن العلم ينقذ الأطفال من الموت ولكنه لايحسب لزيادة السكان بهـذا الانقاذ وماتؤدى اليه هذه الزيادة من الرغبة الوطنية فى الغزو والاعتداء .

والحقيقة أن الأخلاق إنما يبتكرها و يؤلفها رجال الدين والآداب والفلسفة. لأن كل هؤلاء يرسمون الحال المثلى التى يجب أن تطمح اليها الأمة وتصوغ سلوكها بحيث تصل الى هذه الحال. فاذا خاب هؤلاء الرجال فى رسم هذه الحال بحيث صارت المثليات المنشودة أقرب الى الشر منها الى الخير ، صار المجتمع شريرا يستخدم العلم للحرب والرذيلة والفساد بدلا من استخدامه للحضارة والفضيلة والصلاح .

فالعلم منهاج أو طريق أو وسيلة . ولكل هؤلاء غاية . والذى يقرر هذه الغاية هو الدين أولا ثم الآداب ثم الفلسفة . فيجب أن تلقى هذه الأشياء العناية التى يلقاها العلم فى أوربا . وربما كان انحطاط الفلسفة والآداب وإهمال الدين فى أوربا أعظم الأسباب لاستخدام العلم للحرب . فان الدين قد تقهقر فى جميع الأقطار الأوربية ولم يعد له ذلك السلطان القديم على النفوس . وكذلك لايسود أوربا فى عصرنا جو فلسفى أوأدبى أو فنى كذلك الجو الذى يسودها قبل قرن . وتقدم العلم وتأخر الفلسفة والفنون هو بمثابة العناية بالوسيلة واهمال الغاية . ومن هنا هذا الخبط والاضطراب فى المبادئ التى تؤدى الى الحرب .

الرياضة والمرأة :

حاجة المرأة الى الصحة لا تقل عن حاجة الرجل . والرياضة من أكبر الوسائل وأمتعها لحفظ الصحة . فان ممارسها يجد لذة كما يجد صحة . وقد عمت الرياضة بين الجنسين فى جميع الأقطار المتمدنة وأنشئت الأندية التى تضم أعضاء من أحد الجنسين لكى يمارسوا الألعاب لمختلفة . فهناك مثلا أندية السباحة أو التنس أو غير ذلك .

وقد انتفعت المرأة الاوربية والامريكية باقبالها على الرياضة فى صحتها وقوامها . فإن النشاط الذى يتطلبه اللعب يورد خدّيها بدم الصحة كما أن الحركات الرياضية تحول دون ترهلها وتحفظ لها جمالها باناصر النحيف والعضلات المفتولة والقوام المعتدل .

وقد انتشرت الرياضة بيننا ولكنها اقتصرت على الرجال دون النساء . ولذلك تجد الترهل والميل إلى السمن أكثر فى النساء مما هو فى الرجال . وقد شرعت نساء وفتيات الطبقة الراقية عندنا فى تعلم بعض الألعاب ولكنهن قلة كما أن نساء الطبقة المتوسطة لا تكاد تعرف الرياضة . أما نساء الطبقات الفقيرة فلسن فى حاجة إلى الألعاب الرياضية لأنهن يجدن فى عملهن — سواء فى الريف أم فى المدينة — ما يغنينن عنها .

فيجب أن نلتفت إلى قيمة الرياضة وننشرها بين نساء الطبقة المتوسطة وذلك بتأليف الأندية النسوية لهذه الغاية . ويجب أن نحوله دون الظاهرة السيئة التى تتفشى فى مثل هذه الأندية وهى أن يقتصر معظم الأعضاء على التفرج دون العمل . ولسنا نحتاج إلى إبراز الناحية الأخلاقية للألعاب الرياضية أو ما نسميه " الروح الرياضى " فإن المرأة تنتفع به كما ينتفع الرجل سواء .

مهمة المحامى :

هناك من يعتقد أن مهمة المحامى تقتضيه الدفاع حتى وهو يعلم أن موكله أثيم. وهم يبنون هـذا الاعتقاد على أن فى المحكمة هيئة للاتهام هى النيابة العمومية . فيجب أن يكون بالمحكمة أيضا هيئة للتبرئة فى شخص المحامى . ولذلك يرى هؤلاء أنه لا يجوز للمحامى أن يرفض الدفاع حتى عن أثيم لأنه لو فعل لكان فى فعله هذا تسليم بأن هذا المتهم الأثيم يجب أن يواجه هيئة مختصة بالاتهام لها الحق أو العادة بأن تبالغ وتسرف فى الاتهام دون أن تجد هيئة أخرى تردها وتنبهها إلى الانصاف أو الاعتدال ، بل لقد بلغ من برتراند روسل العالم الانجليزى أن يقترح إيجاد هيئة رسمية للتبرئة فى كل محكمة لكى تقف فى وجه هيئة الاتهام أى النيابة العمومية وتمنعها من الغلو أو التحامل على المتهم .

وفى ضوء هذه الحال نظن أن الآراء تختلف فى شأن الأستاذ هنرى روبير المحامى الفرنسى الذى رفض أن يدافع عن مدام كايو التى قتلت خصما سياسيا لزوجها المسيو كايو لأنها خشيت أن يتمادى هذا الخصم فى تفضيح زوجها والتشنيع عليه حتى يسقطه من مكانته الاجتماعية . وقد رفض الأستاذ روبير الدفاع عنها لأنه اعتقد أنها أثيمة وتستحق العقوبة .

الوصايا العشر للزواج :

أندريه موروا كاتب معروف فى فرنسا . وقد وضع هـذه الوصايا للزواج الموفق بعد أن مهد لها بأن كل زواج هو مقامرة . ولكن حتى المقامرة لا تسير بلا قواعد . قال وهو يوجه الكلام للفتاة :

١ — لا تتزوجى أتوميلا . أى لا تطلبى الترف .

٢ — لا تنتظرى الكمال فى زوجك . وحسبك منه تربية وأخلاقا .

٣ — لا تتزوجى وأنت صغيرة السن . لأن الخلافات كثيرة فى هذه السن . وكثير من أسباب الطلاق يرجع إلى أن الزوجين تزوجا وهما فى سن صغيرة .

٤ — لا تندمى بالإغراء الجنسى وتحسبيه حبا . واجعلى الحياة المأمونة أول أغراضك من الزواج .

٥ — لا تجعلى هدفك المعيشة العالية . وكثير من الشبان تركوا خطيباتهم لأنهم خشوا ألا يتمكنوا من القيام بتكاليف العيش على المستوى الذى رأوه فى عائلتهن .

٦ — لا تتزوجى رجلا يخالف أذواقك كل المخالفة .

٧ — تعلمى وادرسى . لأن الدراسة تجعل الفتاة زميلة زوجها التى يرتاح إلى حديثها .

٨ — لا تستقلى كل الاستقلال باتخاذ عمل تكسبين منه .

٩ — عاملى زوجك باعتباره زميلك وليس باعتباره الشخص الذى كلف أن يعولك .

١٠ — لا تندفعى إلى شكة الطلاق لكل خلاف .

العلم : نعمة أم نقمة ؟

كلاهما . هذا هو ما يجيب به الدكتور برنارد لويل فى كتاب " العلم والحضارة " . فإنه يعدد المكتشفات والمخترعات ويبين فوائدها الاجتماعية والصحية ولكنه يذكر أيضا مضارها . على أنه مع ذلك يختلف عن أولئك العلماء الذين عالجوا هذا الموضوع من حيث إنه يرى أن العلماء فى مجموعهم مسئولون عن جميع الرزايا التى عادت على الناس من العلم . وأنه كان يجب على العلماء حبس المكتشفات والمخترعات عن الجمهور ما داموا يحسون أن هذا الجمهور ليس كفئا للانتفاع بها فقط دون الاستضرار منها . ثم هو بعد ذلك يميل إلى الظن بأنه كان يمكن الانتفاع بالعلم دون الخوف من الإساءة فى استعماله لو كانت الحكومات فى أيدى العلماء دون الساسة . ولكنه حتى هنا ليس واثقا من نزاهة العلماء .

وهو بعد ذلك يصف المكتشفات الكيماوية ، ويعدد المواد النافعة التى تستخرج من الفحم وهى تبلغ ألفى مادة . ولكن مع أن هذه المواد جميعها يمكن استخدامها للرقى البشرى ، فإن بعضها يمكن استخدامه لهلاك البشر فى الحروب . وكذلك الشأن فى الأسمدة الكيماوية ، فإنه يمكن أن تستعمل لزيادة المحصولات الزراعية أو للفتك بالجنود والمدنيين فى الحروب . بل إن هذه الزيادة فى المحصولات لا تجد التنظيم الاجتماعى الذى يمكن الناس من الانتفاع بها ، ومن هنا نجد المحصول الوافر مع القحط العام . وهناك أمراض وبائية كثيرة يمكن قمعها ولكن الحكومات لا تستخدم الوسائل العلمية لهذا القمع ، بل تترك هذه الأمراض تتفشى وتفرض ضريبة الموت على مئات الألوف من أبنائها . وأكثر من هذا تترك الحكومات الزراعة فى نظامها البدائى الحاضر حيث يعجز المالكون عن استخدام العلم فى اختيار البذور أو معالجة الأمراض فتقل المحصولات أو تهلك بالفطريات والديدان .

وخلاصة القول إن الدكتور برنارد لويل يرى أن العلم نعمة ، ولكنه يخرج من أيدى العلماء إلى أيدى الساسة فيجعلون منه نقمة ، لأنهم يحيلونه إلى وسيلة للحرب ، ثم هم أيضا لا يستغلونه الاستغلال الكافى فى المجتمع ، ولو فعلوا لمحى الفقر من العالم وعم الهناء جميع السكان .

قميص السعادة :

من الأساطير المأثورة أن ملكا عظيما من الملوك القدماء كان متعلقا بابنه وهو شاب سرى كان يحبه و ينشد سعادته. وحدث أن رأى هذا الملك أن ابنه قد علت وجهه الكآبة وشمله الفتور حتى صار لاينشط الى صيد ولا يأنس بحديث ومع كل ماقام به الملك من إسداء النصائح لابنه على المرح والنشاط بقى الشاب جامدا مغتما .

وأخيرا بعث الملك فى طلب الحكماء لكى يستشيرهم . وبعد أن فحص هؤلاء الحكماء عن حال ابنه أشاروا بالبحث عن رجل سعيد حتى إذا اهتدوا اليه نزعوا قميصه وألبسوه لهذا الشاب وأصاخ الملك إلى مشورتهم و بعث رسله ينشدون هذا السعيد الذى يمكنهم أن ينزعوا قميصه و يأتوا به للملك . و بعد تطواف وتفتيش وجدوا هذا الرجل السعيد . ولكنهم وجدوه بلا قميص لأنه كان من الفاقة بحيث عجز عن شراء القميص .

وهنا المغزى . فإن السعادة حال داخلية لاتحتاج إلى وفرة فى المال أو كثرة فى العقار أو قصور وخدم وأعوان و إنما هى تنبع من القلب أو هى نظر واتجاه فى النفس وليست ممتلكات تحيط بالشخص .

الناس والزمان

غضب الخليفة على الخطاط ابن مقلة فانصرف عنه من كانوا يتقربون إليه عند حظوته. ولكن محنته لم تطل إلا نصف يوم وعاد الخليفة فقربه وأرضاه ، فقال :

تحالف الناس والزمان فحيث كان الزمان كانوا
عادانى الدهر نصف يوم فانكشف الناس لى وبانوا
يا أيها المعرضون عنى عودوا فقد عاد لى الزمان